

الحذف في الرسم العثماني-دراسة لغوية-

Deletion in the Ottoman drawing - a linguistic study

بومدين قدوري

جامعة سعيدة الدكتور مولاي الطاهر (الجزائر)

dr.kaddouri74@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/08/20 تاريخ القبول: 2019/09/09 تاريخ النشر: 2020/01/05



ملخص البحث

ABSTRACT:

This study aims to trace one of the prominent phenomena in the Arabic language and the Ottoman painting of the Holy Quran, namely the phenomenon of deletion, by studying its linguistic roots, following its reasons and focusing it in the Arabic language first, and then considering it as a prominent Quranic phenomenon in Ottoman painting, The third pillar of the correct reading, which showed some of the advantages and phenomena that characterized the drawing spell, which made it fertile ground for linguistic studies of different types.

Keywords: Ottoman, Drawing, Reasoning, Characteristics Linguistic Study

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع إحدى الظواهر البارزة في اللغة العربية والرسم العثماني للقرآن الكريم، ألا وهي ظاهرة الحذف، وذلك من خلال دراسة جذورها اللغوية، وتتبع أسبابها وأقيستها في اللغة العربية أولاً، ثم بالنظر إليها كونها ظاهرة قرآنية بارزة في الرسم العثماني، الذي ارتضاه رب العالمين ليكون الركن الثالث من أركان القراءة الصحيحة، والذي ظهرت فيه بعض المزايا والظواهر التي ميزته عن الرسم الإملائي، مما جعلت منه أرض خصبة للدراسات اللغوية باختلاف أنواعها. كلمات مفتاحية: الحذف، الرسم العثماني، حيثيات، خصائص، دراسة لغوية.

مقدمة

إنّ الدارس لكتاب الله تعالى يرى أنّ أكثر كلماته موافقة لقواعد الرسم الإملائي، وهناك بعض الكلمات يُخالف رسمها القواعد الإملائية المعروفة وهي كلمات معينة لا يصعب على أحد إذا لقَّنها أن يقرؤها قراءة صحيحة كما وردت في رسمها العثماني. وقد أحصى العلماء الظواهر والمزايا التي تختلف بها الكتابة في الرسم العثماني عن الكتابة في الخط القياسي، فوجدوها ستة قواعد، وفي ذلك يقول الشيخ "علي محمد الضباع": "...ولذلك انحصر أمر الرسم في ست قواعد: الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل، وما فيه

مجلة لغة - كلام / مختبر اللغة والتواصل / المركز الجامعي - غليزان (الجزائر)

قراءتان فكتب على إحداهما¹.

ومن بين أهم مظاهر الرسم العثماني، نجد ظاهرة الحذف التي تشغل حيزاً كبيراً في كتابة الرسم العثماني من جهة، وفي الدراسات اللغوية من جهة أخرى، هذا الأمر الذي يستدعي منا تساؤلات كثيرة لعل أبرزها: هل يعد الحذف في الرسم العثماني ظاهرة لغوية تستدعي منا البحث والتنقيب؟ أم هي مجرد عجز وعدم إتقان من الصحابة الذين دونوا القرآن الكريم لقواعد الرسم الإملائي كما زعم العلامة ابن خلدون؟ وإذا كان الحذف في الرسم العثماني ظاهرة لغوية، فهل لها من أسباب وتجليات على الجانب الدلالي للرسم العثماني؟ أم أنها مجرد ظاهرة لغوية ليس لها أبعاد دلالية في الرسم العثماني؟ أسئلة وأخرى نحاول الإجابة عنها من خلال هذا الأسطر.

2- الحذف في اللغة العربية.

الحذف ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة، حالية كانت أو عقلية أو لفظية، كما قد يعتري الحذف بعض العناصر في الكلمة الواحدة، فيسقط منها مقطعاً أو أكثر²، وذلك كقولك: "والله أفعل ذلك" ومقصودك لا أفعل ذلك، وكذلك حذفت "لا" النافية قبل كلمة "تفتاً" في قوله تعالى: "قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ" (يوسف: 85)، وذلك لجريان العرف على أن هذا الفعل (تفتأ)، ونظيره (أبرح)، لا يُستعملان إلا منفيين، ولهذا السبب أمكن الحذف هنا، اعتماداً على قرينة الاستعمال المشهور³. وتعدّ النظرية التحويلية⁴ أكثر النظريات الحديثة شهراً بتفسير هذه الظاهرة عند قدماء النحاة العرب، وذلك لاتفاق هذه النظرية مع النحو العربي في الأساس العقلي الذي تصدر عنه اللغة، ممّا جعل التحويليين يتناولون مجموعة من القضايا التي طرقت في النحو العربي، والتي كان الوصفيون يعدونها من نقاط الضعف فيه، ولا يملّون من توجيه نقدهم إليها، ومن بين هذه القضايا نجد: الحذف والزيادة وإعادة الترتيب وما يتصل به من قضايا التقدير، والأصلية والفرعية والعامل...⁵.

وعلى العموم فإنّ الطريقة التي يقدّمها النحو التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف، شبيهة بما قدمه النحو العربي، وما يسمّيه التحويليين بقواعد الحذف الإجمالي، شبيهة بما سمّاه نحاة العرب القدماء بالحذف الواجب، حيث لا تكون الجملة صحيحة نحويًا، إذا ظهر المحذوف المقدّر في الكلام أي في بنية السطح علي حد تعبير التحويليين.

2-1 الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحذف.

الأصل اللغوي لمادة (ح.ذف) هو دلالتها على إسقاط الشيء، وهو مأخوذ من قول العرب، حذفت من شعري ومن ذنب الدابة إذا أخذت⁶، وتأتي هذه المادة بمعنى قطع طرف الشيء، فيقال: حذف ذنب فرسه إذا قطعه من طرفه، وزقّ محذوف إذا كان مقطوع القوائم، قال الأعشى⁷:

قاعدا حوله الندامى فما يذ ***** فكّ يؤتى بموكر محذوف .

وعلى هذا الكلام فإنّ مادة (ح.ذف) يطلق عليها مجازاً التسوية والتهذيب، ومنه قولهم: حذف الصانع الشيء إذا سواه تسوية حسنة، كأنّه حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من كل عيب وتهذب⁸.

وأما اصطلاحاً: فهو حذف شيء من العبارة لا يُخلّ بالفهم، عند وجود ما يدلّ على المحذوف، من قرينه لفظية أو معنوية⁹.

وقال عنه "الجرجاني" رحمه الله تعالى: "إنه -أي الحذف- دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"¹⁰.

وأما تعريف الحذف كونه ظاهرة من ظواهر الرسم العثماني فهو إسقاط حرف من القرآن إما للإشارة إلى غيره من القراءات، وإما اختصارا للكلام كما يفعل النحاة، وإما اقتصارا على بعض الكلمات دون غيرها.

2-3 أسباب الحذف: في كثير من الأحيان تلجأ اللغة العربية إلى التفتن في أساليب التعبير، وهي في ذلك تراعي أحوال الكلام، فاللغة تُعنى بمطابقة المقال لمقتضى الحال، ولذلك فهي تميل أحيانا إلى حذف شيء من الكلام، كأن يكون المحذوف جملة أو كلمة بأنواعها، كالاسم أو الفعل أو الحرف وما إلى ذلك، والأصل في المحذوفات على اختلاف ضرورها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغوٌ من الحديث لا يجوز بوجه من الوجوه، ويتجلى في الحذف الإيجاز والاختصار، فهو باب دقيق في غاية البلاغة وحسن الاختيار، لكي يظهر الكلام بأسلوب بلاغي رفيع¹¹.

وقد ذكر العلماء أسبابا كثيرة للحذف أكتفي هنا بذكر بعضها مع مراعاة الاختصار.

أ - كثرة الاستعمال: وهو أكثر الأسباب تعليلًا للحذف، بل أن أغلب النحاة يفسرون ظاهرة الحذف بكثرة الاستعمال، فهاهو إمام النحوي في زمانه "سيبويه" يعلل بها أنواعا مختلفة من الحذف، ومن ذلك تعليله لحذف "ياء" المتكلم في نداء "يا ابن أمّ" و"يا ابن عم" بكثرة استعماله في كلامهم، ولذا لم تُحذف "الياء" في "يا ابن أبي" و"يا غلامي" لأنهما في العبارتين الأخيرتين أقل استعمالا¹².

وفي نفس هذا الصدد يُعلل الحذف الواقع في قولهم "لم أبل" و"لا تبل" وهو حذف الألف، وحذف نون المضارع من يكن في نحو "لم يك" ... بكثرة الاستعمال

يقول "سيبويه" مبينا أن كثرة الاستعمال سبب قوي لما يعتري الكلمات من تغيير: "وغيروا هذا لأن الشيء إذا كثّر في كلامهم كان له نحو ليس غيره ممّا هو مثله، ألا ترى أنك تقول: لم أك، ولا تقول: لم أق، وتقول: لا أدر، كما تقول: هذا قاض، وتقول: لم أبل، ولا تقول: لم أرم، تريد لم أرام، فالعرب ممّا يغيرون الأكثر في كلامهم عن حال نظائره"¹³.

ب- الحذف لطول الكلام: إذا طالت التراكيب والجمال اعترها الثقل، فيجئح العربي إلى تخفيف هذا الثقل وذلك بالإيجاز حتى يمنحها شيئا من القوة، ولذلك يُعلل النحاة بالحذف في مواضع تستطيل فيها التراكيب، ويقع فيها الحذف كجملة الصلة إذا استطالت، وأسلوب الشرط الذي يتركب من جملتين قد تستطيل إحداها بتوابعها، وأسلوب القسم، وفي سياق العطف... أو في غير ذلك من المواضع التي تستطيل فيها الجملة، و يوجد في الجملة من الأدلة ما يُغني عن ذكر بعض عناصرها¹⁴.

وقد ذكر العلامة "ابن عقيل" رحمه الله تعالى: تجويز أهل العربية حذف صدر جملة الصلة إذا طالت بعد سائر الأسماء الموصولة ما عدا: "أي"، وذلك في أمثلة كثيرة منها: "جاء الذي هو ضارب زيدا" حيث يجوز حذف "هو" فتقول: "جاء الذي ضارب زيدا"، هذا إن طالت جملة الصلة، فإن لم تطل، فالحذف قليل، وهو جائز عند الكوفيين في غير الاستطالة¹⁵، وأما "أي" فيجوز معها الحذف طالبت الاستطالة أو لم تطل.

ومن أمثلة هذا السبب نجد: حذف العائد وذلك لدلالة ما وضعه النحاة من أحكام تدل على أن طول الصلة عامل مؤثر في الحذف ما لم يقع في الجملة مانع يجعل الحذف مخرّجا بالمعنى

ج- الحذف للضرورة الشعرية: لقد تكلم العلماء على هذا السبب في كتبهم وعلّقوا عليه، وكان من بينهم النحوي المعروف "سيبويه" حيث ذكر في أوائل صفحات كتابه موضوعا عن "ما يحتمل الشعر"، يبيّن فيه أنواعا من الضرائر تجوز للشاعر حذف ما لا يُحذف دون النثر¹⁶.

ومن الأنواع التي ذكرها العلماء في هذا الصدد، نجد حذف حرفٍ متحركٍ أو أكثر من آخر الكلمة، وذلك كحذف "الميم" في كلمة "الحمام" في قول الحجاج:

قواطننا مكة من ورق الحمى

حيث حُذفت "الميم"، وقُلب الألف "ياء"، أو حُذف الميم والألف معاً، وجُرباقي الكلمة بالكسرة، ثم أُشبعَت الكسرة فصارت "ياء".

ومن ذلك قول لبيد:

درس المنا بمتالع فأبانا

يريد "المنازل" فحذف الحرفين الآخرين

د- الحذف للأعراب: وهذا الحذف يعتري الفعل المضارع في حالة الجزم، حيث يُحذف الضم في نحو لم أغضب، ولم أقل، فينطق الحرف ساكناً، أي أنّ الحذف هنا يتمثل في صائت قصير، فإذا كان من الأفعال الخمسة جُزم بحذف النون نحو: لم يكتبوا، ولم يكتبوا، وإذا كان من الأفعال الناقصة جُزم بحذف حرف العلة نحو: لم يغز، ولم يخش، ولم يرم، وهنا يُعبر عن الحذف صوتياً بأنه تقصير للصائت الطويل الواقع في آخر الفعل¹⁷.

هـ- الحذف لأسباب قياسية صرفية أو صوتية: ومن تلك الأسباب نجد:

*توالي الأمثال: ونعني به أن يُذكر حرفين متماثلين متتالين، فيقع الحذف غالباً في المماثل الأخير، وفقاً للقاعدة العامة للحذف في العربية، كحذف نون الرفع من الأفعال الخمسة عند التقائها بنون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة، وكحذف "الياء" في تصغير اسم سماء، حيث أن تصغيرها هو سَمَيَيْن، ولكن يقال: سَمِيّة على الوزن فعيلة¹⁸.

* حذف حروف العلة استئثقالاً: وذلك كحرف الواو إذا وقعت فاء للكلمة من الفعل المضارع الثلاثي إذا كان على وزن "يفعل" بكسر "العين" نحو وعد يعيد عد، وزن يزن زن، حيث علل "سيبويه" الحذف هنا باستئصال اجتماع الياء والواو، وهذا الاستئصال جعلهم ينطقون "يوجل" "ياجل" "ييجل" بقلب "الواو" ألفاً أو ياء¹⁹.

* التقاء الساكنين: وهنا يكون الحذف تخلّصاً من إحدى الساكنين، حيث يُحذف الأول صوتاً وخطاً إن كان حرف مد، ويُحذف صوتاً فقط إن كان غير ذلك.

3- الحذف في الرسم العثماني وأنواعه.

الحذف هو الإسقاط والإزالة، وجاء في المصاحف على ثلاثة أقسام، حذف إشارة، وحذف اختصار، وحذف اقتصار²⁰.

أ- حذف الإشارة: وهو الحذف الذي يكون موافقاً لبعض القراءات، مثل الحذف في قوله تعالى: "وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (البقرة: 51)، فقد قُرئت بحذف الألف بعد الواو في "واعدنا" كما قُرئت بإثباتها، وعلى ذلك فإن حذف الألف هنا هو حذف إشارة إلى قراءة الحذف، وأمّا القراءة الثانية -بالإثبات- فجاءت على الأصل، وهو المواعدة، فالله تعالى وعد "موسى" الوحي، وموسى عليه السلام، وعد الله تعالى المجيء²¹.

وحذف الإشارة يكون في القراءات المتواترة وغيرها، إذ لا يشترط فيه أن تكون القراءة المشار إليها متواترة بل ولا شاذة، لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كُتب المصحف²².

ب- حذف الاختصار: ويسميه بعض العلماء بحذف التقليل²³، وهو ما لا يختص بكلمة دون مماثلها، فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها، وذلك كحذف ألف جموع السلامة كالعالمين...²⁴.

ومن أمثلة هذا النوع نجد قوله تعالى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" (الأحزاب: 35) كل هذه الجموع رسمت بحذف الألف²⁵ للاختصار.

ج- حذف الاقتصار: هو ما اختصَّ بكلمة أو كلمات دون نظائرها، ككلمة: "الميعاد" في الأنفال، و"الكافر" في الرعد، و"ويعفوا" بالنساء²⁶.

1-3 الحروف التي تُحذف في القرآن: والذي يحذف في المصاحف من حروف الهجاء خمسة: حروف المد الثلاثة "الألف، الياء، الواو"، وهذه يكثر الحذف فيها، و"اللام والنون"، وهذا يقل الحذف فيها²⁷، وحتى نفصل في هذه الظاهرة، سأفرد لكل حرف من هذه الحروف الخمسة قسم خاص به ولنبدأ بـ:

1- حذف الألف: جاء الحذف في حرف الألف على ضربين:

الأول: ما يدخل تحت قاعدة، وجاء على خمسة أنواع²⁸:

- حذف ألف جمع المذكر السالم، نحو: "عالمين".

- حذف ألف جمع المؤنث السالم نحو: "مسلمات".

- حذف ألف ضمير الرفع المتصل نحو: "زدناهم".

- حذف ألف التثنية نحو: "الأوليان".

- حذف ألف الأسماء الأعجمية نحو: "إبراهيم".

الثاني: ما لا يدخل تحت قاعدة، وهو الجزئيات تكرر أم لم تتكرر²⁹.

ولمعرفة أحوال الحذف في الألف وتعليل ذلك، نقوم باستعراض بعد التعليل على ذلك:

يقول الإمام "الزركشي" رحمه الله تعالى: "كل ألف تكون في كل كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود لها اعتباران: اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور علوية، مما لا يدركه الحس، فإنَّ الألف تُحذف في الخط علامة لذلك ... فإن كان لها اعتبار من جهة ملكية حقيقة في العلم، أو أمور سلفية فإنَّ الألف تثبت"³⁰.

* أمثلة حذف الألف³¹: وذلك في عدة مواضع، وعلى أحوال كثيرة منها:

- حذف ألف جمع المذكر السالم: نحو: "العالمين" و"الصالحين" و"اللاعنون" و"المجاهدون" و"لحفظون" ...

واستثنى الإمام "أبو داود" لفظة "داخرين" في سورة غافر، وهناك مواضع مختلف فيها عن الإمام "الداني".

- حذف جمع المؤنث السالم: وذلك نحو: "مسلمات" و"مؤمنات" و"اليّنات" ...

- حذف ألف ضمير الرفع المتصل: نحو: حذف ألف "نا" الواقعة فاعلا إذا اتصل بها ضمير النصب

نحو: "زدناهم"، "علمناه"، "أتيناك" ...

- حذف ألف التثنية: ومثالها: "رجلان"، "اثنان"، "يعلمان"، "تكذبان"، وهذا النوع وقع خلاف فيه، غير أنَّ

الإمام "الداني" رحمه الله تعالى نص على حذفها في القرآن الكريم باستثناء لفظة "تكذبان" ففيها الوجهان عنده.

- حذف ألف الأسماء الأعجمية: والمقصود بها الأسماء الزائدة على ثلاث حروف، وقد ورد في القرآن الكريم

منها: إحدى وعشرين اسما وهي: "إبراهيم"، "إسماعيل"، "إسحاق"، "عمران"، "هارون"، "هاروت وماروت"، "لقمان"،

"سليمان"، "داود"، "إسرائيل"، "طالوت"، "جالوت"، "يأجوج ومأجوج"، "ميكائيل"، "قارون"، "إلياس"، "هامان"،

"آل يس"، "بابل"، وهناك خلاف في حذف بعض هذه الأسماء.

2- حذف الياء: وقد جاءت إمّا أصلية، وهي التي تُقابل اللام التي هي ثالثة أصول الكلمة في الميزان الصرفي،

وإمّا زائدة عن بنية الكلمة التي اتصلت بها.

أما الياء الأصلية فقد حُذفت في إحدى وعشرين كلمة، وأمّا الزائدة عن بنية الكلمة فقد حُذفت في تسع

وستين كلمة³².

وأما الياء الناقصة في الخط، فيقول عنها الإمام "الزركشي" رحمه الله تعالى: "فهي على ضربين: ضرب محذوف

في الخط، ثابت في التلاوة، وضرب محذوف فيهما"³³.

أ- الضرب الأول: وهو باعتبار غيبي، وينقسم إلى قسمين³⁴:

الأول: ما هو ضمير المتكلم، نحو: "تَسَالَيْ" في قوله تعالى: "فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" (هود: 46)، وعلة الحذف فيها، أن العلم هنا غيبي ملكوتي.

الثاني: ما هو "لام" الكلمة، سواء أكان في الفعل نحو كلمة "يأت" في قوله تعالى: "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (هود: 105)، والسري في حذفها أن الإتيان غيبي ملكوتي، أو كان الحذف في الاسم نحو كلمة "الجواب" في قوله تعالى: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴿١٣﴾" (سبأ: 13)، وعلة الحذف فيها أنها صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي.

ب- الضرب الثاني: وهو ما تُحذف فيه الياء في الخط والتلاوة معاً، وينقسم بدوره إلى قسمين³⁵:

الأول: ما هو ضمير المتكلم، نحو كلمة "يعبدون" من قوله تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (الذاريات: 56)، وإنما حُذفت معاً لأن الغرض منها الاستدلال واعتبار الآيات، دون التعرض لصفة الذات. الثاني: ما هو لام الكلمة، سواء كانت ذلك في الاسم نحو الكلمة: "الجوار" في قوله تعالى: "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (الرحمن: 24)، وحُذفت الياء هنا، للتنبيه على أنها لله تعالى، أنشأها سبحانه بعد ألم تكن³⁶، وأمّا في الفعل، فتكون نحو كلمة: "يؤت" في قوله تعالى: "وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" (النساء: 146)، وعلة حذف الياء هنا، لأنّ الذي يؤتيه الله للمؤمنين شيء غيبي لا يدرك إلا بالإيمان والتسليم.

3- حذف الواو: وتُحذف الواو من الكلمة على قسمين: مفردة وغير مفردة³⁷.

الأولى: وهي المفردة، وقد سقطت من أربعة أفعال:

* "سندع" في قوله تعالى: "سَنَدُعُ الرِّبَانِيَّةَ" (العلق: 08).

* "يمح" في قوله تعالى: "وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ" (الشورى: 24).

* "يدع" في قوله تعالى: "وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ" (الإسراء: 11).

* "يدع" في قوله تعالى: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر: 06).

وإنما حذفت "الواو" هنا للتنبيه على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المتأثر به في الوجود³⁸.

الثانية: وهي غير المفردة، أي الواو التي اجتمعت معها في نفس الكلمة واواً أخرى، فتحذف في إحداها قصداً للتخفيف، سواء كانت إحداها للدلالة على الجمع أو كانت على بنية الكلمة³⁹.

ومن أمثلة هذا النوع نجد كلمة: "يستوون" في قوله تعالى: "أَقَمْنِ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ" (السجدة: 18)، وكلمة "الموءودة" في قوله تعالى: "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ" (التكوير: 08)⁴⁰.

وقد ذكر الإمام "الداني" رحمه الله تعالى أنّ "الواو" التي تُحذف، هي الثانية وذلك في قوله: "فالمُحتمل أن تكون المرسومة، الواو الأولى، التي هي فاء من الفعل، والمحذوفة هي الواو الثانية التي جاءت لبناء مفعوله"⁴¹.

4- حذف اللام: إذا اجتمع لامين في كلمة واحدة وتلاصقا فهما على حالتين: إما أن تكون هذه الكلمة وردت في القرآن الكريم بكثرة، وإما غير ذلك⁴².

الأولى: إذا كانت الكلمة الواردة فيها اللامين لم يكثر تداولها في القرآن الكريم، فإنها تكتب بهما معاً نحو: اللعنة، اللغو، اللؤلؤ... وذلك باتفاق المصاحف⁴³.

الثانية: إذا كانت الكلمة الواردة فيها اللامين كثر استعمالها في القرآن الكريم، فهنا تُحذف إحدى اللامين اختصاراً⁴⁴، نحو كلمة "اليل"، "الذي"، "الذين" وذلك بإجماع المصاحف.

وقد رجّح الإمام الداني أن تكون اللام المحذوفة هي اللام الثانية، أي اللام الأصلية وذلك لامتناع انفصال لام التعريف عن ألف الوصل⁴⁵، في حين اختار الإمام سليمان بن نجاح أن تكون المحذوفة هي لام التعريف⁴⁶ لذهابها بالإدغام وكونها مع من أدغمت حرفا واحدا.

5- حذف النون: ويكون حذفها من الكلمة على ضربين⁴⁷:

الأول: للتحقيق مثلا نون "ننجي" في قوله تعالى: "فَنُجِّيْ مَنْ نَّشَاءُ" (يوسف: 110).

الثاني: للإدغام مثل نون "تأمننا" في قوله تعالى: "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا" (يوسف: 11).

وهذين المثالين بإجماع المصاحف على حذف النون فيهما، وذلك على الإدغام الصحيح⁴⁸، وقد ذكر الشيخ "الضباع" أمثلة أخرى ككلمة: "لننظر كيف"، و"لننصررسلنا" ورجّح الإثبات فيهما لما عليه العمل⁴⁹ والله أعلم.

4- الحذف في الرسم العثماني -دراسة صوتية-

نظر علماء اللغة طويلا في خط المصحف المتبع يقارنون بينه وبين الخط القياسي المخترع، ولم يألوا جهدا في تتبع كل ظاهرة فيه يعلّلون رسمها لا للدفاع عنه فحسب، وإنما للاطمئنان إلى القواعد التي بُني عليها في خطه. ومما هو ملاحظ لكل دارسٍ لعلم الرسم العثماني وجود ظواهر تؤثر على رسم الكلمة، ومنها ظاهرة الزيادة والحذف ... وظواهر أخرى تبرز لنا الأثر الصوتي في رسم الكلمة في سياقها وما يكتنفها من سوابق ولواحق.

والأصل أن تدلّ الكلمة على معناها بحروفها المنطوقة من غير نقص ولا زيادة، وهذا هو الضابط في الخط القياسي المخترع، إلا أنّ خط المصحف قد قُيّدت كلماته في رسمها بقيود خارجة عن الخط القياسي، ولا سيما في حروف العلة، إمّا بالزيادة وإمّا بالحذف، وذلك بحسب ما يكتنف الكلمة من أصوات لتحقيق معانٍ مقصودة في شكلها، ممّا خالف فيه الرسم العثماني الرسم القياسي، وذلك بإحدى ظواهر الخمسة ولا سيما ظاهرة الحذف. والحذف في اللغة سواء كان قياسيا أو سماعيا وسيلة من وسائل التخفيف من الثقل النطقي لللفظ داخل البيئة اللغوية، والتي تُعدّ أحد التلوينات الصوتية في تعانقات سياقاتها مع سياقات الكلمة، ممّا يُعطي أثرا جماليا للفتة التي تم فيها الحذف.

وقد انكب الدارسون لعلم الأصوات يحلّلون ظواهر الرسم العثماني بشقّي أنواعها، وكان من بين هؤلاء الأستاذ "محمد شملول" في كتابه إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، وكذا العلامة "ابن بناء المراكشي" في كتابه عنوان الدليل، وإن كان تحليلهما دلالي أكثر منه صوتي، بيد أنّي وقفت على أحد الدارسين المحدثين الذين علّلوا ظواهر الرسم العثماني تعليلا صوتيا، ألا وهو الأستاذ الدكتور "عبد الوهاب محمود الكحلة" في بحثه الموسوم بأثر الصوت في رسم الكلمة-نظرة تحليلية في ضوء رسم المصحف-، حيث أبدع في دراسته لهذه الظواهر دراسة صوتية فريدة من نوعها، وقد قال في مقدمة بحثه: "وهذه بعض تعليقات تلكم الظواهر من رسم كلمات المصحف، ممّا هي على غير الخط القياسي"⁵⁰.

وعلى العموم فإنّ الحذف الوارد في رسم المصحف الشريف له تأثيرات صوتية على اللفظة القرآنية والسياقات الدلالية ومنها:

1- الاقتصار ومراعاة التخفيف: ويتجلّى ذلك في حذف "الياء" في آخر الآية في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: "فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" (سبا: 45)، "ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ" (فاطر: 26) ... وغيرها، وذلك لأنّ الوقف على الكلمة يتطلب الاقتصار والتخفيف، ويتجلّى ذلك بالحذف⁵¹.

2- مراعاة الفواصل: وهذا أقرب تعليل للحذف، ومن أمثلة حذف "الياء" المتطرفة، والتي تحذف حيثما وقعت في الفاصلة نحو قوله تعالى: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ الْأنبياء: 92)، وكذلك وقع الحذف عند الفواصل في الأسماء المنقوصة نحو قوله تعالى: "وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" (غافر: 32)، وهذا الحذف جاء

لإضفاء السبك الصوتي للقرآن الكريم، الذي يتجلى في النغم الغلاب الذي تحدنه فواصله في أذن السامع، وخصوصا إذا كان القارئ مُحكما للقراءة، عذب الصوت، مما يجعل الفواصل القرآنية أعذب وأقوى تأثيرا، وكذا أجمل في الأداء الصوتي للقرآن الكريم.

3- التحاشي من التقاء الساكنين: ومن ذلك حذف حروف العلة "الألف، الواو، الياء" قياسا من آخر الكلمة عند التقاء الساكنين صوتا لا خطأ نحو قوله تعالى: " فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" (الكوثر:02)، وتحذف صوتا وخطأ إذا كان الساكنان في كلمة واحدة، كأفعال الأمر، وكذلك تُحذف أصوات المدّ سواء كانت أجزاء من الكلمة، أو كانت مورفيمات ذات دلالة ك: واو الجماعة وياء المخاطبة⁵².

ومن أمثلة الحذف لأجل تحاشي التقاء الساكنين، حذف "الياء" في قوله تعالى: "إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ" (الصافات:163)، والقياس فيها إلّا من هو صالي الجحيم، ومن تحاشي التقاء الساكنين أيضا حذف "الواو" في قوله تعالى: "وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ" (التحریم:04)، حيث رسمت "صالح" بصورة الأفراد، وإنما المراد [وصالحوا المؤمنين]⁵³ فحذفت الواو هنا.

والتفسير الصوتي الحديث لهذه الظاهرة يبيّن أنّ ما حدث ليس حذفًا للمدّ بكامله، وإنّما هو تقصير للصائت الطويل عندما يتبعه ساكن غير مُدغم في مثله فيتحول إلى صائت قصير⁵⁴.

4- المسارعة في الأمر: ومن ذلك حذف "الواو" في قوله تعالى: "وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ" (الشورى:35) حيث حذفت "الواو" من كلمة "يمح" للدلالة إلى سرعة الذهاب وضمحلالة، ويمكن تفسيره كذلك على التحاشي من التقاء الساكنين، وكذلك نجد حذف "الياء"⁵⁵ من قوله تعالى: "يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ" (القمر:06) وذلك إشارة إلى سرعة الدعاء من الداعي، وفي نفس الوقت تُشير إلى سرعة استجابة الداعي⁵⁶.

ومما يدلّ على هذا المعنى الصوتي نجد حذف "الواو" في كلمة "أكون" في قوله تعالى: "فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ" (المنافقون:10)، وذلك لأنّ أصل الفعل هنا هو: "أكون" فحذفت "الواو" هنا تماشيا مع ما جاء بحذف "التاء" وإدماجها في حرف "الصاد"، وذلك في الفعل الذي جاء قبلها وهو: "فَأَصْدَقَ" وهذا لتحقيق السرعة في كلا الفعلين، لأنّ الأصل في الفعل السابق هو "فَأَصْدَقَ"⁵⁷ وهذا فيه من الثقل والبطء في الأداء الصوتي ما لا يخفى على أحد.

5- التصغير والاختصار: وذلك كحذف "النون" من آخر بعض الكلمات نحو "يك" و"تك" وذلك لتصغير الشيء⁵⁸ واختصار الأداء الصوتي فيها.

6- المقاربة والالتصاق: إنّ حذف "الألف" في بعض الكلمات القرآنية، وخصوصا الألف الوسطية في الكلمة، يدلّ دلالة صوتية على الإلتصاق والقرب، ومن ذلك قوله تعالى: "فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ" (الكهف:34)، حيث جاءت كلمة "لصاحبه" بدون ألف وسطية لتُوحى بما كان يظنّه مالك الجنّتين من أنّ صاحبه مُلتصق به في الرفقة والإيمان، غير أنّه لما تغيّر موقفه معه، وذلك بدخوله في الكفر، يتغيّر فوراً رسم وكتابه كلمة "صاحب"، حيث أثبتت الألف فيها وذلك في قوله تعالى: "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ" (الكهف:37)، وذلك للدلالة على الانفصال الإيماني رغم رفقه المكان والزمان⁵⁹.

وهذا وإن كان معنى دلالي، غير أنّ الجانب الصوتي يتجلى فيه في قلّة الأصوات [الحروف] والتحامها.

7- مراعاة السرعة في ختم الكلام والانتفاء منه: ويتجلى ذلك في حكاية قول سيّدنا موسى عليه السلام لفتاه: "قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ" (الكهف:64)، حيث حُذفت "الياء" من كلمة "نبغ" لبيان سرعة ارتدادهما إلى ما فاتهما، وهذه الحال تختلف عن حال إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: "قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي" (يوسف:65)، إذ ثبتت

الياء في "نبغي" ليبقى الصّوت ظاهراً وهو يناسب اطمئنانهم في حديثهم مع أبيهم، إذ لم يكونوا يبغون الانصراف ممّا هم فيه⁶⁰.

وأمثلة هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا" (القدر:04)، حيث حُذفت "التاء" في "تنزل" للدلالة على سرعة النزول، وأمّا في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ" (فصلت:30)، فأثبتت "التاء" هنا للدلالة على البطء في النزول، وعليه فقد أثر الحذف في سرعة الأداء، وهو ما يبرز لنا الأثر الصوتي الذي تؤديه ظاهرة الحذف في الكلمة القرآنية.

5- خاتمة:

وفي الأخير وبعد إلقاء نظرة خاطفة لظاهرة الحذف في اللغة العربية والرّسم العثماني للقرآن الكريم نخلص إلى ما يلي:

- 1_ الحذف ظاهرة صوتية عامّة تشترك فيها اللّغات الإنسانية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكرّرة في الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسمّاع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة لسياق العبارة.
- 2_ النظرية التحويلية للدرس اللغوي أكثر النظريات الحديثة شهياً بتفسير هذه الظاهرة عند قدماء النحاة العرب، وذلك لاتفاق هذه النّظرية مع النّحو العربي في الأساس العقلي الذي تصدر عنه اللغة، ممّا جعل التحويليين يتناولون مجموعة من القضايا التي طرقت في النحو العربي والتي كان منها ظاهرة الحذف.
- 3_ الحذف في الرّسم العثماني ظاهرة مختلفة نوعاً ما عن اللغة العربية، وذلك لأن الحروف التي تحذف في المصاحف من حروف الهجاء خمسة فقط: حروف المد الثلاثة "الألف، الياء، الواو"، وهذه يكثر الحذف فيها، و"اللام والنون"، وهذا يقلّ الحذف فيها، على عكس الحذف في اللغة العربية الذي يدخل على عدة حروف بشروط معتبرة.
- 4_ للحذف في الرّسم العثماني أغراض لغوية تتفق تارة مع الحذف في اللغة العربية وتختلف تارة أخرى، ويمكننا أن نجمل ذلك بالقول بأنّ أغلب أغراض الحذف في الرسم العثماني صوتية ودلالية على العكس منها في اللغة العربية التي تتوسع إلى أغراض كثيرة قد أشرنا إليها سابقاً.

هوامش الدراسة

¹ علي محمد الضباع، سمير الطالبين، د.ط (جمهورية مصر العربية، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ت) ص 49.

² طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي (الإسكندرية، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص 04.

³ ابن جني، أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، د.ط (القاهرة، طبع دار الكتب، 1376هـ، 1956م)، ج 2، ص 284.

⁴ النظرية التحويلية نظرية حديثة نشأت في الخمسينيات بعد أن وضع تشومسكي كتابه المشهور: Syntactic Structures، ثم تبعه عدد من اللغويين الذين طوروا نظريته أو أعطوها أشكالاً متعددة. ينظر: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي (الإسكندرية، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص 11.

⁵ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، د.ط، (الإسكندرية، دار نشر الثقافة، 1977م)، ص 145-160 بتصرف.

⁶ الجوهري، معجم الصحاح، ط 1، (لبنان، دار المعرفة، 1426هـ، 2005م)، ص 218.

⁷ الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط 2، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، 1426هـ، 2005م)، ص 178.

⁸ الزمخشري، أساس البلاغة، د. ط (بيروت، لبنان، دار صادر، 1385هـ، 1965م)، ص 118.

⁹ يونس حمش خلف محمد، الحذف في اللغة العربية، (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد: 02، المجلد 10، 2010م)، ص 278.

- ¹⁰ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الأعجاز، ط1، (دار الجيل، 1424هـ، 2004 م)، ص131.
- ¹¹ يونس حمش خلف محمد، الحذف في اللغة العربية، ص280.
- ¹² سيبويه، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، د. ط، (مكتبة القاهرة، 1385 هـ، 1966 م) ج2، ص214 بتصرف.
- ¹³ سيبويه، أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، د. ط، (مكتبة القاهرة، 1385 هـ، 1966 م) ج1، ص294، 295 باختصار.
- ¹⁴ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص43 بتصرف.
- ¹⁵ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط12، (المكتبة التجارية، القاهرة، 1381هـ، 1961م)، ج1 ص143.
- ¹⁶ سيبويه، الكتاب، ج1، ص26 ... وما بعدها.
- ¹⁷ سيبويه، الكتاب، ج1، ص64.
- ¹⁸ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص76.
- ¹⁹ سيبويه، الكتاب، ج4، ص52.
- ²⁰ سيبويه، الكتاب، ج4، ص50.
- ²¹ شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، ص37.
- ²² علي محمد الضباع، سمير الطالبين، ص50.
- ²³ نفس المصدر السابق، ص50.
- ²⁴ عبد الحي حسين الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، ص179، علي محمد الضباع، سمير الطالبين، ص50.
- ²⁵ شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، ص37، 38.
- ²⁶ علي محمد الضباع، سمير الطالبين، ص50.
- ²⁷ أحمد محمد أبو زيتجار، لطائف البيان في رسم القرآن، ص14.
- ²⁸ عبد الحي حسين الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، ص180.
- ²⁹ علي محمد الضباع، سمير الطالبين، ص52.
- ³⁰ الزركشي، البرهان، ج1: ص388.
- ³¹ الزركشي، البرهان، ج1: ص53، 61.
- ³² علي محمد الضباع، سمير الطالبين، ص99.
- ³³ الزركشي، البرهان، ج1: ص399.
- ³⁴ عبد الحي حسين الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، ص181-182.
- ³⁵ الدمياطي البنا، إتخاف فضلاء البشر، ص492.
- ³⁶ الزركشي، البرهان، ج1: ص403.
- ³⁷ أحمد محمد أبو زيتجار، لطائف البيان في رسم القرآن، ص12.
- ³⁸ جلال الدين السيوطي - الإتقان - ج2: ص168.
- ³⁹ أحمد محمد أبو زيتجار، لطائف البيان، ج2: ص13.
- ⁴⁰ عبد الحي حسين الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، ص184-185.
- ⁴¹ الداني، المحكم، ص17.
- ⁴² عبد الحي حسين الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، ص186.
- ⁴³ أحمد محمد أبو زيتجار، لطائف البيان، ج2: ص15.
- ⁴⁴ علاء الدين بن الفاصح، شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في الرسم، ط:01، (القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، 1994، ص85.

- ⁴⁵ علاء الدين بن الفاصح، شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في الرسم، ص 85.
- ⁴⁶ أحمد محمد أبو زيتحار، لطائف البيان، ج:2، ص 15، علي محمد الضباع، سمير الطالبيين، ص 103.
- ⁴⁷ الدمياطي البنا، إتحاف فضلاء البشر، ص 312، 321.
- ⁴⁸ أبو عمر الداني، المحكم، ص 82.
- ⁴⁹ علي محمد الضباع، سمير الطالبيين، ص 104.
- ⁵⁰ عبد الوهاب محمود الكحلة، أثر الصوت في رسم الكلمة، نظرة تحليلية في ضوء رسم المصحف (العراق، مجلة آداب الرافدين، العدد: 65، 1434 هـ - 2013 م، ص 01).
- ⁵¹ زيد القرالة، ياءات القرآن الكريم بين الحذف والقلب والتسكين، دراسة صوتية، (الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد 2، سنة 1430 هـ، 2009 م، ص 10).
- ⁵² طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 175.
- ⁵³ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 03، 04.
- ⁵⁴ طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص 175.
- ⁵⁵ والمقصود بالياء هنا، هي ياء الزوائد التي لا تثبت في الخط العثماني.
- ⁵⁶ عبد الوهاب محمود الكحلة، أثر الصوت في رسم الكلمة، ص 04 بتصرف.
- ⁵⁷ محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 34.
- ⁵⁸ محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 35.
- ⁵⁹ محمد شملول، إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 66.
- ⁶⁰ الزركشي، البرهان، ج:1، ص 397.